مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد 11 / العـدد: 01 (جانفي 2023) ص 1156– 1176
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

النقد الأدبي الجزائري بين السياق والنسق

Algerian literary criticism between context and format

عبد الرحمان حجاج[1] ، الهامل بن عيسى[2]
1 جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، abderahmanehadjadj0@gmail.com
2 جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، hbnssa@yahoo.com
مخبر علوم اللسان جامعة عمار ثليجي (الأغواط) الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/05/20	تاريخ القبول: 2022/07/12	تاريخ النشر : 2023/01/22

الملخص:

لم يكن النقد النسقي في الأدب الجزائري شيئا مذكورا قبل أن ينهل بعض الباحثين الجزائريين من المعرفة الألسنية الغربية المعاصرة ومما انبثق عنها من نظريات ومناهج ومصطلحات ويعملون على نقلها إلى مشهدنا النقدي تنظيرا وتطبيقا مساهمة منهم في تكريس انفتاح النقد العربي وتوسيع مجالاته. وفي هذا المقال نحاول توسيع ذلك وتوضيحه إجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم النسق؟ وكيف تطور؟ وماهي الجهود النقدية التي مورست في هذا المجال توفيقا بين السياق والنسق؟

الكلمات المفتاحية: النسق – المقاربات – المناهج والآليات.

Abstract

The systemic criticism in Algerian literature was not known before some Algerian researchers drew on contemporary Western linguistic knowledge and the theories, methods and terms that emerged from it. They worked to transfer them to our critical scene both in theory and application, as a contribution from them in devoting the openness of Arab criticism and expanding its fields. In this paper, we try to expand and clarify this in answer to the following questions: What is the concept of layout? How did it develop? What are the critical efforts exerted in this field in order to reconcile the context and the format ?

Keywords: systems, approaches, methods and mechanisms.

المؤلف المرسل: حجاج عبد الرحمان ، **الإيميل**: abderahmanehadjadj0@gmail.com

1. مقدمة:

مصطلح النسق من المصطلحات الأكثر رواجا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة حيث أخذ حيزا كبيرا من اهتمامات الباحثين في العلوم الإنسانية واللسانية على الخصوص مما يجعل منه مادة ثرية ذات سعة وثقل معنى ومبنى، خاصة وهو يتموقع وظيفيا على مسافات متباينة بين مختلف علوم المعرفة من خلال ما يختزنه من قيمة وما يتصف به من خصائص تحقق له التفرد.

ولهذا وغيره، لا بد من البحث في جذوره اللغوية على مستوى المعاجم العربية حيث جاء في معجم " مقاييس اللغة " بأن النسق "النون والسين والقاف" أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء..... "وكلام نسق: جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض نسقت الكلام عطفته ورتبته بإتقان على نظام واحد" (ابن فارس، 1997، صفحة 420).

أما في معجم العين فقد عرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله النسق من كل شيء ما كان على طريقه نظام واحد عام في الأشياء ونسقته نسقا ونسقته وتنسيقا ونقول انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت (الخليل، د.ت، صفحة 81).

أما صاحب اللسان فيعرف النسق بقوله "النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقته تنسيقا" (ابن منظور، 2004).

وعليه فالنسق من خلال ما تقدم يتضمن معنى التماسك، الارتباط، الانسجام، التكامل، التناسق التلاؤم وهذه الدلالات تحقق معنى النظام والتنظيم والإحكام، والإحكام تخضع له جميع مكونات الحياة الإنسانية بل الكون بأكمله فالكل منسجم محكم انطلاقا مما يحكمه من مقاصد وأغراض

2. النسق اصطلاحا:

أما مفهوم النسق في الاصطلاح فقد تعددت الرؤى من حوله وتباينت ضيقا واتساعا عمقا ووضوحا فنجد "لالاند" قد تناول النسق من جانبه الفلسفي بقوله " ليس النسق شيئا آخر سوي ترتيب مختلف في أجزاء فن أو علم تتآزر فيه كلها تآزرا متبادلا وحيث تفسر الأجزاء الأخيرة بالأجزاء الأولى" (لالاند، 2001، صفحة 117) كما أشار بارسونز في كتابه بنية الفعل الاجتماعي إلى أن "النسق يرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزءا من بيئة الفاعلين وهدف وكل فاعل هو الحصول على أقصى درجه من الإشباع وإذا ما دخل الفاعل في تفاعل مع آخرين وحصل ذلك الإشباع فذلك مدعاة لتكرار التفاعل" (إيدث، 1993، صفحة 411) وهو ما يشير هنا إلى أن النسق نظام يتضمن على أفراد فاعلين تتحد علاقتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا

في إطار هذا النسق وعلى نحو أن يصبح فيه النسق ذو مفهوم أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي ..... ويعرف عبد العزيز حمودة النسق بأنه "مجموعه القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة وتشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية والإنتاج الفردي من ناحية أخرى.. وهو ليس نظاما ثابتا وجامدا، ففي الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية ..." (حمودة، 1997، صفحة 193) .

وقد حاول أن يضبط ويحدد لهذا المصطلح تعريفا يحيط به، ولكنه يعترف بأن تعريف النسق بسيط ومراوغ في نفس الوقت (حمودة، 1997، صفحة 193) .

ووافقه (محمد مفتاح) في ذلك بقوله :"ليس هناك تحديد للنسق متفق عليه فتحديداته تتجاوز العشرين، ومع ذلك يمكن أن نستخلص نواة مشتركة من تلك التحديدات، والنواة هي أن النسق مكون من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يرتبط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر و آخر" (مفتاح، 1996، الصفحات 158-159).

وكلمة النسق باللغات الأوروبية أتت من كلمتين يونانيتين Stema_Syn، أي وضع الأشياء مع بعضها البعض في شكل منظم ومنسق، فالنسق إذن هو مجموعة من الأجزاء المرتبة ترتيبا خاصا متصلة ببعضها البعض، لكي تؤدي إلى غرض معين أو لكي تقوم بوظيفة خاصة (إبراهيم، 2001، صفحة 84) .

أما النسق (عند فوكو) فهو "علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها " (علوش، 1985) فهو يعمل على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص ويحدد الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية ...

وعرفه (امبرتوايكو) بأنه: "رصيد من العلامات أو الإشارات والكودات النحوية الداخلية التي تحكم اختيارها وتراكبها" (إيلام، 1992، صفحة 77) .

أما (نعمان بوقرة) فيرى أن النسق من المصطلحات اللسانية ويعرفه بأنه : "... ما يتولد عن تدرج للجزئيات في أخرى ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه (بوقرة، 2009، صفحة 141)، وعليه فإن ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض هو ما يطلق عليه النسق...

أما (أحمد يوسف) فيحدد طبيعة النسق بأنه "ليس معطى قبليا ومفهوما جاهزا، بل هو منظور يتم بناؤه حسب قدرات القارئ وإمكاناته المعرفية وأدواته النقدية ووعيه المتقدم (أحمد، 2008، صفحة 120).

وكل هذه التعريفات اشتركت جمعيها في وجود صفة الترابط بين مجموعة من العناصر فيما بينها بمعزل عن مؤثرات أخرى .

والنسق كمصطلح قسمه (حجازي) إلى نسق خارجي "يتألف من الأنشطة والمشاعر والتفاعلات الثقافية والفكرية ويوجه نحو البيئة الخارجية" وهو نسق كلي، ونسق داخلي "الذي يشتمل عليه الأثر إلى جانب التفاعلات الموجهة نحو وحداته الذاتية، أي التنظيم الذي ينطوي على اتجاهات وعلاقات الوحدات ببعضها البعض، وهو نسق التنظيم الذاتي" (سعيد حجازي، 2001، صفحة 121).

فالنسق مكون من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر...

فالنسق هو البناء الذي يجمع كل الأجزاء، ولقد "شجعت اللسانيات البنيوية الخطاب النقدي على البحث عن النسق الأدبي انطلاقا من فكرة الكلية والعلاقة التي تجمع عناصر النص الأدبي (أحمد، 2008، صفحة 121)

3. الوظيفة والتطور:

تهتم بالمظهر في النصوص والخطابات وتنتقل من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية، فليس في الأدب سوى الوظيفة الأدبية والشعرية، فهناك كذلك الوظيفة النسقية التي يعتني بها النقد الثقافي، وهذه الوظيفة هي محور الفعل القرائي للنقد الثقافي...

4. النشأة والتطور:

يرجع مفهوم النسق إلى الفلسفة اليونانية، التي تعتقد أن ".. كل ما في الكون محكوم بقانون عام، لذا فهم يعتبرون الكون نسقا أو مجموعة من العلاقات المترابطة فيما بينها، وعليه فقد بحثوا عن العلاقة التي تربط بين نسق الأفكار ونسق الكون قصد الكشف عن التناسق الأزلي" (بغورة، 2001، صفحة 123).

أما في العصر الحديث فنجد أن مصطلح النسق يعود إلى مؤسس اللسانيات البنيوية فيرناند دي سوسير (1857/1913) الذي سعى إلى تحديده من أجل تحليل آلية عمل اللغات البشرية، فنظر إليه بوصفه شبكة من العلاقات، فاللغة عنده نسق لايعرف إلا طبيعة نظامه الخاص، وهي من ناحية أخرى نسق كيميائي يقوم على إرتباطية العلامة ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل...

ويتجلى النسق عند دي سوسير خلال ثلاث مستويات:"اللسان، اللغة، الكلام" وقد اهتم علماء اللغة العربية قديما بلغتهم وحافظوا عليها من انتشار اللحن نتيجة امتزاجهم بالأعاجم ورغبة منهم في شرح القرآن بما يحمله من

ألفاظ ومعاني وتفسيرها ،إلا أنهم لم يتطرقوا إلى النسق إلا ما كان قد تطرق له النحاة فيما يخص عطف النسق ومن هؤلاء عبد القادر الجرجاني 456 هجري ، الرمخشري 600 هجري ، ابن يعيش 643 هجري.

وقد اجتهد بعض النقاد العرب المحدثين من أمثال صلاح فضل والمسدي ومحمد مفتاح والكثير من تلامذتهم في ضبط مفهوم النسق، وتتبع تمظهراته المختلفة وهو ما أدى إلى بروز وعي كبير بهذه الأهمية والقيمة التي يمكن أن يضيفها مفهوم النسق على الدراسة النقدية المعرفية بالخصوص..

5. المقارنات النسقية في النقد الجزائري:

في بداية الثمانينات من القرن الماضي شهد النقد الجزائري المعاصر تحولات في المقاربة النقدية حيث بدأ يتوجه تدريجيا إلى خصوصية النص، ومن ثم تكرست الجهود النقدية في البحث عن العلاقات الرابطة بين مكونات النص والكشف عن البنية النصية والبحث في سلسلة النص إلى داخله فيما يسمى ب"النقد النسقي النصي" وقد مارسه عدد من نقادنا يتقدمهم عبد المالك مرتاض في تبنيه للمنهج البنيوي الشكلاني، وتمثله لمقولات النقد المعاصر، وكذلك السعيد بوطاجين في الاتجاه ذاته فأصبحت الحداثة الغربية تتدخل في تشكيل الأطر الدلالية لخطاب النقد الجزائري، ويعود الفضل في تكريس هذه المناهج النسقية إلى بعض النقاد الجزائريين الذين تبنوا هذه المناهج الحديثة انطلاقا من وعيهم بضرورة الانفتاح على الآخر وعلى المستجدات المعرفية والنقدية في الغرب وسنتعرض لبعض أعمالهم الرائدة في هذا المجال ...

6. عبد المالك مرتاض:

من بين أهم أعلام التجربة النقدية العربية والذي سعى لبلورة منهج نقدي في تحليل الخطاب مغترفا من الثقافة الحداثية الغربية، ومتكئا على تراكمات التراث النقدي العربي، حيث تعد تجربته ظاهرة في حد ذاتها، بحكم كثرة إنتاجه النقدي واشتغاله على متون أدبية متنوعة شعرا ونثرا حيث تعامل مع القصائد والألغاز والأمثال والقصة المقامة والحكاية والرواية وغيرها وفق تصورات نقدية متعددة ذات صلة بالسياق والنسق على حد سواء والتي تعتبر تجربة ثرية متشعبة الجوانب.

إن المسار النقدي لمرتاض شهد تطورا ملحوظا على المستوى المنهجي، إذ بدأ الباحث ممارسته النقدية انطباعيا، تاريخيا فبنيويا، أسلوبيا، ثم سيميائيا تفكيكيا أي بمعنى أنه مر بمرحلتين منهجيتين أولاهما طور النقد التقليدي وهي قصيرة وثانيتهما "النقد الحداثي" وخلالها ركز الناقد على النص فنجده يقول :" انزلقت إلى المنهج الحديث من خلال تعاملي مع النص الشعبي فكان أول عمل تجريبي قمت به في التعامل مع النص هو كتابي " الأمثال الشعبية الجزائرية" ثم الألغاز الشعبية الجزائرية" (فاضل، د.ت، صفحة 14).

وهذا التحول كان مسبوقا بإرهاصات أرجعها مرتاض إلى "... لما تسجلت في السوريون تحت إشراف الأستاذ أندري ميكائيل كان لا مناص من تغيير جلدي دون تغيير جوهري وهويتي، فكانت سنة ست وتسعين .. الفترة الحاسمة في حياتي العلمية: بين التراث وجماله ، وعمقه وأصالته... وبين الحداثة بما فيها من ضبابية وجمال الشكل وصرامة المنهج، ثم بما فيها خصوصا من القلق المعرفي" (هيشور، 1994، صفحة 118) فقد كان للمدرسة الفرنسية دور فعال في تأطير فكر عبد المالك مرتاض وذلك باحتكاكه بأعلام المدرسة الفرنسية وآرائها، إضافة إلى ذلك إطلاعه الواسع على عطائهم الفكري، وحضور المحاضرات في الجامعات والمعاهد الفرنسية، انطلقت مرحلة جديدة في حياة عبد المالك مرتاض خاصة والمسار النقدي الجزائري عموما الذي عاد معبأ بأحدث المفاهيم والنظريات النقدية والمصطلحات الغربية فهو الشيء الذي مهد لتكوين ثورة حداثية واسعة في المصطلح النقدي الجزائري حيث أسس –مرتاض– مرحلة جديدة مع المناهج النسقية الحديثة والتي جاءت على أنقاض المناهج السياقية التقليدية التي كفر بها (وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، 2002، صفحة 50) ليعلن بعدها صراحة دخوله ضمن النقد النسقي اللساني الذي يحتفي بالنص كبنية متكاملة لها أفكارها واشتغالها ضمن تلك البنية سواء درسنا النص في عمقه أو في سطحه.... وتتجلى ملامح منهجه في كتابه (ألف ليلة وليلة– تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد) في قوله "أولى لنا أن ننشد منهجا شموليا تكون به القدرة على استكناه دقائق النص، واكتشاف كوامنه وتعريف مكامنه، دون أن نقع لا في فخ البنبويين الرافضين للتاريخ و الإنسان ... والاجتماعيين الذين يعللون كل شيء تعليلا طبقيا ولا في فخ النفسانيين وهم الذين يودون جهدهم في تفسير سلوكات المبدع من خلال تفسير الإبداع" (مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، 1993، صفحة 11).

ولا يتعامل الناقد مع هذه المناهج تعاملا آليا، فيطبقها بحذافيرها في قراءة الخطاب العربي الذي يمتاز بخصوصيات معينة، بل ينتقي منها ما يراه أصلح وأنسب لهذا الخطاب، ويجتهد في تطويعها وتكييفها مع البيئة الثقافية العربية، حيث أنه لا وجود لمنهج كامل مثالي صالح لان ندرس به كل النصوص على اختلافها، بل إن المناهج تضل اجتهادات فردية أو جماعية، ومن هنا" فإنه من السذاجة أن نعتقد بأننا قادرون على تأسيس منهج ما ، ثم نحمله إلى نص أدبي لنحلله بمقتضى إجراءاته بكفاءة ونجاح ذلك بأن كل نص أدبي يمثل لنا شكل طبق لا يشبه النص الآخر إلا توهما أو من بعيد، إذ حين نتعمق بالقراءة ونطيل النظر فيه سيتبين لنا حتما أن هذا النص مختلف عن ذاك، وذاك عن هذا (مرتاض، شعرية القصيدة، 1994، صفحة 84)، وبتعبير آخر فإن كل نص أدبي يفرض على دارسه منهجه المستقل... فللنص القصصي منهج وللنص الشعري منهج وللنص المسرحي منهج وهلم

جرا .. فلا يستو نص أدبي قوامه الشخصيات والحوادث ونص أدبي آخر قوامه التجريد والتأمل، ويقر مرتاض "بحتمية تفرد كل نص بمنهج قراءة خاص به" (مرتاض، شعرية القصيدة، 1994، صفحة 84)

ويسعى مرتاض بذلك إلى تجريب المناهج الغربية الحداثية في قراءة نصوص عربية مختلفة زمانا وجنسا، لأنها تؤدي في نظره حتما إلى إنتاج معرفة، بل ربما إلى إنتاج نظرية جديدة للمعرفة، على انقاظ ما فكك من بناء المعرفة القديمة" (مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، صفحة 20)، فانشغاله الكبير بمناهج الحداثة الغربية لم ينسه قط الاحتفال بما يزخر به التراث العربي من مقومات نقدية ومعالم منهاجية. إذا فالتجربة النقدية عند مرتاض تزاوج بين الأصالة التراثية وبين الحداثة الغربية المعاصرة على نحو متكامل، ولعلنا لا نجانب جادة الصواب إذا قلنا إن هذه الأصالة لقاح نقدي "يجعل ناقدنا ممنعا من تأثيرات المناهج الحداثية ويكسبه قدرة على التعامل مع هذه المناهج بوعي سليم وذوق صميم...

1.6. مرتاض والمنهج البنيوي:

اعتبر النقاد والدارسون مرتاض من الشخصيات النقدية الجزائرية التي كانت لها الريادة في مجال البنيوية وما بعد البنيوية، قد لا يختلف اثنان بخصوص ريادة الدكتور عبد المالك مرتاض البنيوية وما بعد البنيوية في الخطاب النقدي الجزائري" (وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، من اللانسونية إلى الألسنية، 2002، صفحة 122). فالمنهج البنيوي وجود تنظيري وتطبيقي في المسار النقدي لعبد المالك مرتاض فمن بين الكتب التي تمثل هذا التوجه:

- النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟
- بنية الخطاب الشعري
- الألغاز الشعبية الجزائرية
- الأمثال الشعبية الجزائرية
- في نظرية النقد وغيرها...

وقد أقام مرتاض في كتابه في (نظرية النقد) جزءا نظريا للبنيوية تحت عنوان النقد البنيوي والتمرد على القيم، وشمل مجموعة من النقاط وهي:

البعد اللغوي والمعنوي للمصطلح، الخلفيات التاريخية البنيوية، موقف البنيوي من التيارات الأخرى ، أسس النزعة البنيوية...

فالمنهج البنيوي أول منهج حداثي تعامل معه الناقد وقد كان أول المناهج التي انزلق إليها وذلك حين تبرأ من المنهج التاريخي لا يثبته زمان ولا مؤثرات ولا هم يحزنون وإنما هو نص مبدع نقرأه فهو الذي يعيننا ويجب أن ندرسه ونحلله بالوسائل العلمية، أو الوسائل الأقرب ما تكون إلى العلم" (مرتاض، الألغاز الشعبية في الجزائر، 2007، صفحة 7).

فقد أولى مرتاض أهمية بالغة للنص وأقام له علاقة بالمنهج، حيث لا يمكننا الحديث عن النص في خطابه النقدي بعيدا عن المنهج، فهو يعرفه بأنه: "عالم جوهري يحمل كل خصائص الجوهر بما فيه من شرعية وآنية وأصالة وخلود... لا يختلف من زمان لزمان، ولا من مكان لمكان، ولا من شخص لآخر، وإنما الذي يختلف هو الدراسة التي تقام حوله، ثم الأشخاص الذين يتناولونه، أما هو فهو هو " (مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين، 1983، صفحة 53).

وعلى ضوء المقاربات النسقية الحديثة عمد مرتاض إلى تمثل أدوات البنيوية واستلهام إجراءاتها ومتخذا إياها مرتكزا في اشتغاله النقدي على المتون الأدبية، وقد أسست دراساته الأرضية للنقد البنيوي الشكلاني في الجزائر.

2.6. مرتاض والمنهج السيميائي:

يأتي مرتاض في طليعة النقاد الجزائريين من حيث استخدامه للمنهج السيميائي، فقد عرف بتطبيق إجراءات هذا المنهج في العديد من كتبه النقدية، عن مجموعة من الأعمال الأدبية سواء أكانت من الأدب العربي القديم أو الحديث زاوج فيها بين التنظير والتطبيق ومن بين المؤلفات التي تتجلى فيها النظرية السيميائية نذكر:

- ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد
- أي دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد
- شعرية القصيدة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية
- مقامات السيوطي تحليل (سيميائي)
- المعلقات السبع (مقاربة سيميائية انثربولوجية لنصوصها)
- التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل قصيدة شناشيل ابنه الجلبي)

يضاف إلى هذه الدراسات كتاب تنظيري آخر بعنوان (نظرية النص الأدبي) خصص فيها مرتاض فصلا للحديث عن السيميائية وفق نظرية خاصة.

3.6. مرتاض والمنهج الأسلوبي:

يعد أول عهد لمرتاض بالأسلوبية كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية) حيث قدم في الفصل الثاني من القسم الثالث للكتاب دراسة في أسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية بالتنظير للأسلوبية (مفهومها، تاريخها، ممثليها، أصنافها) ثم أردف بعد ذلك بجانب تطبيقي.

4.6. مرتاض والمنهج التفكيكي:

حاز المنهج التفكيكي على اهتمام عبد المالك مرتاض في التنظير والتطبيق، فمن الكتب التي نظر فيها لهذا المنهج كتابه في (نظرية النقد) والذي حبذ فيه مصطلح التقويض على التفكيك ومن بين مؤلفات عبد المالك مرتاض التي تحمل بين سطورها بعض من آليات المنهج التفكيكي نذكر على سبيل المثال:

– الأمثال الزراعية، دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلا جزائريا 1987

– تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية

(زقاق المدق)1995

7. عبد الحميد بورايو:

يعتبر بورايو أحد المؤسسين للخطاب النقدي الجزائري المعاصر، ومن الأوائل الذين ساهموا في توطين البنيوية الشكلية ثم السردية السيميائية، ولقد أبانت دراساته سواء أكانت نظرية أم تطبيقية عن مشروع نقدي يستحق التقدير والدراسة، وهذا المشروع النقدي يتسم بالصرامة العلمية والدقة المنهجية وهو منفتح على الآخر وفي الوقت نفسه يقارب التراث الأدبي الشعبي بأدوات منهجية حداثية تعيد قراءة هذا التراث الشعبي وفهمه ومقارنته بمنهجيات تكشف عن أسراره وأسباب حضوره.

وتسعى الأعمال النقدية التي أسهم بها عبد الحميد بورايو إلى تنشيط وتجديد حركة النقد الأدبي في الجزائر في ضوء الدراسات الحديثة ومقاربتها للنصوص السردية التراثية الشعبية، حيث برز في ساحة النقد متبنيا البنيوية التكوينية باعتبارها أكثر الاتجاهات انتشارا في المغرب العربي وذلك في كتابه (القصص الشعبي في منطقة بسكرة) معتمدا في ذلك على المنهج البنيوي، والذي يمكن أن يكون أول تجربة بنيوية تكوينية تطبيقية في الخطاب النقدي الجزائري.

– أعماله ومؤلفاته: تنوعت مؤلفات عبد الحميد بورايو بين الأعمال الإبداعية والدراسات الأدبية والترجمات منها :

– عيون الجارية وهي مجموعة قصصية صدرت عن المجموعة. الوطنية للنشر والتوزيع 1983

– القصص الشعبية في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية) 1986

– منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) 1994

– البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري1998

– التحليل السيميائي للخطاب السردي 2003

– الأدب الشعبي الجزائري 2007

– المسار السردي 2008

– مدخل إلى نظرية التناص 2010

1.7. بورايو والبنيوية:

من المنجزات النقدية الجزائرية التي اتخذت مسارا بنيويا تجربة الأستاذ عبد الحميد بورايو في كتابه القصص الشعبي في منطقة بسكرة

"وتعتبر دراسته للقصص الشعبي في منطقة بسكرة أول تجربة بنيوية تكوينية ذات طابع إجرائي في الخطاب النقدي الجزائري" (وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، من اللانسونية إلى الألسنية، 2002، صفحة 123) .

وهو يعتبر بحق رائدا البنيوية التكوينية في الجزائر حيث عمد إلى المزج بين مقولات النقد الاجتماعي والنقد البنيوي في عمله نقد السرد...

يكتفي بورايو في تعامله مع النص بالتصريح بأنه قد اتجه وجهة بنيوية في الأجراء دون أن يحدد طبيعة هذا الاتجاه الذي تبناه اهو تكويني أم شكلي ؟

لكن خلال تحليل النص تتجلى بوضوح ملامح البنيوية التكوينية، وقد برر هذا الاختيار بأنه وجد فيه فضاء أرحب للتعامل مع النص بقدر من الحرية، ما كانت لتتسنى له في إطار البنيوية الشكلية وفي تعلقيه على هذه الأداة الإجرائية يقول :"برهن تطبيق المنهج البنيوي في دراسة نماذج النصوص عن جدواه في فهم هذه النصوص، مما يجعله مؤهلا لان يلعب دورا في تجديد فهم تراثنا القصصي، وإعادة تقييم أشكاله التعبيرية، كما انه مؤهل لان يوحد قاعدة لإقامة تصنيف للتراث القصصي الشعبي العربي" (بورايو، القصص الشعبية في منطقة بسكرة، صفحة 259).

2.7. بورايو والسيميائية:

إن المطلع على الأعمال النقدية للأستاذ عبد الحميد بورايو على المستويين النظري والإجرائي يجد المصادر السيميائية تشكل الحيز الأكبر من مراجعه فقد كان الناقد متأثرا بالحداثة الغربية ومصادرها متصلا بأعلامها ينتقي نظريتهم النقدية ويناقش أفكارهم الفلسفية ويطبق هذه النظريات الغربية على المدونات العربية الشعبية.

ويظهر تأثير التيار السيميائي جليا على فكر الباحث عبد الحميد بورايو وعلى كتاباته النقدية، تأخذ دراستنا في حسبانها البحث الشكلاني والبنيوي الذي أنجز في هذا المجال والذي تعود ريادته لفلاديمير بروب وكلود لفي شتراوس وتمت متابعته وتطوره من طرف من جاء بعدهم من الباحثين من أمثال كلود بيرموند وغريماس وآخرين " (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 259).

3.7. المقاربات النقدية عند بورايو:

قد تبنى (عبد الحميد بورايو) في بداية حياته النقدية المناهج السياقية، وبالتحديد النقد الاجتماعي، وكان ذلك في سبعينيات القرن الماضي نتيجة اعتناقه الإيديولوجيا الاشتراكية التي هيمنت على الحياة العامة آنذاك، بما في ذلك ميدان الأدب والنقد، و يشير في أحد حواراته لسبب تبنيه لهذا المنهج بقوله «لقد كان وراء عنايتي بالنقد السوسيولوجي في بداية اهتماماتي البحثية قناعاتي الإديولوجية ذات التوجه اليساري ، و كان المحيط الذي تكون فيه خلال السبعينيات يعرف انتشارا لهذه القناعات» (ملاحي، 2009، الصفحات 143-144) ،ولكنه بعدما وجه عنايته للأدب الشعبي، تعين عليه إيجاد آليات تحليل نقدية بديلة للنقد السوسيولوجي الذي يتعذر معه الوصول إلى معلومات كافية عن النصوص الشعبية الضاربة في الزمن، فزمنها مجهول، ومكانها الذي وجدت فيه لأول مرة مجهول كذلك، وهذا ما يؤكده (بورايو) في إحدى الحوارات التي أجريت معه؛ بقوله: « لقد تم إبداع هذا الإنتاج في عصور موغلة في القدم، وظل متداولا يعاد إنتاجه من جديد في كل حقبة تاريخية، ومن الصعوبة بمكان تفسيره بالوسائل المنهجية التي يتيحها المنهج السوسيولوجي (...) وذلك بسبب صعوبة الحصول على المعطيات السوسيولوجية المتحكمة في إنتاجه ، بسبب علاقته بحقب تاريخية موغلة في القدم لا تتوفر عنها حاليا أي معلومات سوسيولوجية» (ملاحي، 2009، صفحة 144).

وهذا ما اضطره إلى التعامل مع النصوص معاملة نسقية تسمح بانبثاق الدلالة من داخل النص لا من خارجه، فكان أن وجد ضالته في النموذج الوظائفي (فلادمير بروب) والذي نجده في جل دراساته كخطوة أولية تمثل التحليل الخطي المتتبع للمسار التسلسل السردي، لذلك عادة ما يصدر به تحليلاته ثم يقرنه بتحليلات أخرى كالتحليل السيميائي السردي، والتحليل البنيوي التكويني أو البنيوي الأنثروبولوجي، وهذا ما يؤكده بقوله: « ننطلق في المقاربة المنهجية للحكاية الشعبية من المفهوم الذي يرى فيها حاملا لدلالة ما يجب أن يهدف البحث إلى الكشف عنها. ولكي يصبح هذا الهدف ممكنا لا بد من اعتماد قراءة مزدوجة لخطاب الحكاية؛ الأولى خطية، تراعي التسلسل السردي، تضع في اعتبارها العلاقات السياقية، والثانية تعمل على استخراج علاقات التضاد الكامنة (...) تسمح لنا هذه الخطوة المنهجية بالانتقال من تحليل الأشكال إلى فحص المحتوى، أي العبور من الدراسة الشكلية

إلى الدراسة الدلالية» (بورايو، البطل الملحمي، والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسة حول خطاب المرويات الشفوية، 1998، صفحة 90).

فالتحليل الوظائفي عبارة عن دراسة شكلية، ويعد بالنسبة ل (بورايو) خطوة أولية هامة لامناص منها في الكشف عن دلالة النص المدروس. هكذا يمكن لنا أن نتمثل الإطار المنهجي العام لمقاربات (بورايو)، فالمطلع على تحليلات (بورايو) سيلحظ من دون شك محاولته التأسيس لرؤية في مجال النقد تفيد من الآخر دون الارتباط به ارتباطا ساذجا وحرفيا، أي لا بد من مراعاة طبيعة النص المعالج وخصوصيته، فهو في تعامله مع النصوص السردية ينصت إلى ما يمليه النص وما يتطلبه من انسجام منهجي، ولا ينصت إلى ما يمليه المنهج، فالسلطة حسب هذا الناقد تعود إلى النص لا إلى المنهج وإجراءاته، وهذا بخلاف عديد النقاد الذين يتعسفون في مقاربة النصوص لأنهم يجعلون المنهج فوق اعتبار النص، ويطبقون المناهج على أي نص يعترض سبيلهم، فيقعون تحت سلطة المنهج وسطوته، فيحملون بذلك النص ما لا يطيق، ومن ثم فتلافي الوقوع تحت صرامة ما يمليه المنهج النقدي الغربي هو مكمن السر في أصالة التجربة النقدية لدى (بورايو) لأن خصوصية النص هي المحددة لأطر التعامل المنهجي لا العكس، وعليه نقرر أن (بورايو) في تحليلاته النقدية لا يركن إلى الاتباع المنهجي الساذج، كما نجده ينأى كل النأي عن كل ممارسة ميكانيكية وعن كل ارتباط حرفي بآليات المناهج الغربية، بل نجده يسعى إلى ابتكار طرق خاصة في التعامل مع النصوص، وهذا ناتج عن وعي نقدي يتخذ من المناهج الغربية حجر الأساس ليبني صرحا نقديا ذا بصمة "بورايوية" (نسبة إلى بورايو).

يعرض الناقد عبد الحميد بورايو مجموعة من الدراسات التي تسعى لمقاربة النصوص الشعبية على اختلافها، مستفيدا في ذلك من طرائق التحليل البنيوية والانثربولوجية عند ليفي شتراوس، والأبحاث السردية الشكلية عند فلاديمير بروب، والدراسات الدلالية عند ا.ج. غريماس، مع أنه ينفي التطبيق الآلي لها، خاصة منهج بروب الذي تعامل معه بمرونة، ليمنحه انفتاحا أكثر، بمشاركة شخوص أخرى أهملت في السابق، ويكسر بذلك هيمنة البطل في القصة.

يبرر الناقد سبب اعتماد هذه الدراسات، إلى الموقع الوسط الذي تحتله الحكايات الخرافية بين الأسطورة والأدب « بانتقال المكونات الأسطورية من الخطاب العقائدي إلى الخطاب الثقافي ذي الوسائط الجمالية والطبيعة الفنية» (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 122)، وتعتمد مقاربته لمجموعة الحكايات الشعبية على خطوتين: تتجه في أولاهما « منحى خطي، تضع في اعتبارها التسلسل السردي، تراعي وضع العلاقات الحاضرة في السياق » (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 15)، وتحليل

الأشكال السردية، والاهتمام برصد تتابع الأحداث على مستواه السطحي، ليتم بعدها الانتقال لمعالجة المضامين، وما توارى في مستواها الدلالي العميق، و« استخراج علاقات التضاد الكامنة المستنتجة من العلاقات الغائبة عن السياق» (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 15) ، واستنباط العلائق القائمة بين الحكايات من منظور مقارن « لاستخراج الصور القابلة لأن توفر عنصرا دلاليا» (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 20) ، كما تبحث في علاقة الحكايات بالوسط السوسيوثقافي الذي أنتجه، ويهدف السياق الثقافي « إلى بيان السمات الثقافية للنص المدروس، وطبيعة علاقته بالثقافة السائدة بين أفراد المجتمع المنتج والمستهلك لهذا النص» (بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، 1992، صفحة 15)، ولتحديد البنية الكبرى التي تشترك بين جميع هذه الروايات، يعتمد الناقد الانتقاء والتعميم والتركيب، ثم الاحتفاظ بالمعلومات الأهم والأوثق.

يعد عبد الحميد بورايو رائدا للبنيوية التكوينية في الجزائر؛ حيث عمد في دراسته منطق السرد" إلى المزج بين مقولات النقد الاجتماعي، والنقد البنيوي، وفي ضوء ذلك راح يحلل أفعال الشخوص، وردودها، وتجلى له أن « تصرفات هؤلاء الأشخاص بقدر ما هي صادرة عن ذواتهم، وعقدهم النفسية، وانشغالاتهم بقدر ما هي مرتبطة بتشعبات المرحلة التاريخية التي يعيشها المجتمع الجزائري، وبكلية حياته العامة، إننا لا نكون مغالين إذا ما قلنا أن الرواية تمثل لوحة كاملة عن التطور الذي وصل إليه الوعي الوطني، وعن نوعيته، والإشكاليات التي يطرحها هذا الوعي» (بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، 1994، صفحة 96).

أما عن الاصطلاح، فمقارنة بالاصطلاح البنيوي نجده يركز أكثر على توظيف اصطلاحات النقد الاجتماعي، ومن ذلك "البورجوازية الصغيرة"، والفكر البورجوازي"، و"الطبقة الكادحة"، ومصطلح "التكوينية"، يثير ثنائية "البنيوية – الماركسية"؛ حيث تظهر لنا نقطة لقاء جوهرية بينهما، ذلك أن كلاهما يستلهم مرجعيته الفكرية، وتصوره المنهجي من مفهوم البنية وصلتها بثنائية الجزء والكل ضمن شبكة معقدة من العلاقات.

والبنيوية التكوينية إنما تبلورت مقولاتها المنهجية في إطار السعي «لإنقاذ البنيوية والاجتماعية جميعا؛ بالإفادة من أفضل ما فيهما من مبادئ التأصيل المضموني في الثانية، والتأصيل الشكلي في الأولى، ثم تأسيس نظرية نقدية على أنقاض من ذلك» (مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة(زقاق المدق)، صفحة 8).

إنما تركيبة منهجية جديدة قوامها المزاوجة بين رؤيتين نقديتين لكل منهما خصوصيته في التعامل مع النص، وهما الاجتماعية والبنيوية، وقد استطاعت هذه التركيبة فرض حضورها في الساحة النقدية؛ حاملة هوية "البنيوية التكوينية"، التي تسعى إلى إقامة تناظر بين البنية النصية، والبنية الذهنية للفئة الاجتماعية التي يستوحيها

النص، فكانت البنيوية التكوينية تفجينا واضحا للهيكل البنيوي بالروح الاجتماعية» (وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، صفحة 146).

8. رشيد بن مالك:

يعتبر الباحث رشيد بن مالك أحد النقاد الجزائريين المعاصرين الذين أدركوا المزالق الخطيرة التي وقع ضحيتها العديد من النقاد العرب المعاصرين، فسعى إلى تخطي ذلك بوضع جملة من المؤلفات النقدية والتي كانت على قدر كبير من الأهمية، حيث عمد فيها إلى تبسيط تلك المفاهيم النظرية والفلسفية والمنهجية السيميائية قصد توصيلها إلى القارئ العربي،و السعي الى عدم الوقوع في الاضطراب و الغموض، وحاول في الوقت نفسه تعريف القارئ بهذه الممارسات التطبيقية التي أجراها للعديد من المتون الروائية العربية والجزائرية، الأمر الذي أوصله إلى تعريف هذا القارئ بأسس وقواعد المنهج السيميائي في تحليل الخطاب دون زلل أو اضطراب.

1.8. التعريف بالناقد رشيد بن مالك:

هو باحث وناقد جزائري معروف، من مواليد 1956 بواد الزيتون – صبرة – بتلمسان يشغل حاليا وظيفة مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، يحمل درجة أستاذ التعليم العالي كمدير للبحث العلمي بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان.

بعد حصوله على شهادة البكالوريا سنة 1977، تدرج الباحث بجامعة تلمسان أين تخرج منها سنة 1981 بشهادة ليسانس في الأدب العربي درجة مستحسن، ثم سافر إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا بمدرجات جامعة باريس، حيث تحصل في جوان 1982 على شهادة الدراسات المعمقة في المنهجية بدرجة جيد جدا، ثم دكتوراه الدرجة الثالثة من جامعة السوربون، تخصص الأدب الجزائري في فيفري 1984 بملاحظة جيد جدا كذلك، ليعود إلى الجزائر أين ناقش دكتوراه دولة في السيميائيات شهر جانفي 1995 بدرجة مشرف جدا بجامعة تلمسان.

ومثل ما كان التوجيهات وتشجيع عز الدين المناصرة، محمد مصايف، واسيني الأعرج من أثر جلي في بناء حاسته النقدية (بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(عربي–إنجليزي–فرنسي)، 2000، صفحة 10)، فقد كان لرحلاته الدراسية وبالأخص لفرنسا الأثر الأكبر في حياته العلمية والعملية، لدورها في صقل مواهبه وتوجهاته إلى دراسة السيمياء الغريماسية، بفضل اطلاعه على أهم منجزات غريماس ومعاصرته لأعمال جوزيف كورتيس، ميشال آريفيه، لوي بانيه، جان كلود كوكي، فضلا عن لقاءاته النقدية واشتراكه البحثي مع عدد من الباحثين في الحقل السيميائي السردي، وترجمته لمقالاتهم النقدية، على غرار الباحثة آن إينو، وهو ما ساهم في اطلاعه على جهود مدرسة باريس السيميائية الفرنسية في تطوير سيمياء السرد.

2.8. النشاطات العلمية للناقد رشيد بن مالك:

رافق السيرة العلمية لرشيد بن مالك عمله في مجال التصنيف والترجمة، مما ساعد على تخصصه في النقد السيميائي السردي، ففي 1983 بدأ يلقي الدروس الأولى في تحليل الرواية الجزائرية من المنظور السيميائي لطلبة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان.

ومن هنا وفي نفس السنة بدأت تراوده فكرة إنجاز معجم السيميائية (بن مالك، 2000، صفحة 10)، وتفاوتت أعمال الناقد

بين الترجمة والتأليف من خلال وضع لمجموعة من الكتب والدراسات في ميدان السيمياء السردية، فضلا عن الملتقيات التي ينشطها داخل وخارج الجزائر

3.8. المنهج النقدي عند رشيد بن مالك:

إن المتتبع للسيرة العلمية للناقد رشيد بن مالك، يرى أنه تتلمذ على رواد المدرسة السيميائية الباريسية ومتصل بأعلامها، يلتقي بهم، يناقشهم، يترجم لهم. والدارس لمجموع مدوناته؛ سواء في الجانب النظري أو التطبيقي، يجد أثرا للمعارف السيميائية عموما والنقد السيميائي السردي خصوصا. وسنحاول فيما يلي الوقوف عند مختلف التيارات والشخصيات العلمية التي شكلت مصادره التي استقى منها معارفه وشكلت تصوراته النقدية.

4.8. الشكلانية عند رشيد بن مالك:

جاءت الشكلانية بمختلف اتجاهاتها (بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، 2013، صفحة 14)؛ مناهضة لطرائق الدراسات الأدبية السابقة، و رد فعل عن المناهج السياقية في دراسة الأدب، تلك الممارسة التي ينتقدها رشيد بن مالك و يراها «تضع الدرس النقدي في إطار مسكوك ...، تبني رشيد بن مالك التصورات والمفاهيم الشكلانية على مستويين التنظير والتطبيق، مستعينا بالمنهج البنيوي النسقي، يقول في مقدمة منهجية في تحليل رواية خلاص جيلالي "عواصف جزيرة الطيور :" « إننا لا نولي أهمية للتحليلات التي تدرس النص من خارجه. لقد أثبتت مثل هذه التوجهات النقدية فشلها في فض الإشكالات التي يطرحها النص على جميع الأصعدة» (بن مالك، السيميائيات السردية، 2006، صفحة 155)، تلك الدراسات الشكلانية جعلت من الأدب مثل سائر العلوم يستحق دراسة نسقه بعيدا عن عاطفة الكاتب أو جنس النص. يكشف رشيد بن مالك تصريحا لا تلميحا عن تطبيقه لتصورات فلاديمير بروب يقول في كتابه "مقدمة في السيميائية السردية : « هذا و قد ضبطنا في القسم الثاني من هذا البحث التوجه الشكلاني الروسي العام في الممارسة النقدية وأخترناه كنموذج لهذا التيار مورفولوجية

الرواية لفلاديمير بروب، و تتبعنا في أثناء التحليل " النموذج البروبي" الذي يعد جهازا نظريا أساسيا و ضروريا لفهم تنظيم الخطابات السردية » (بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، 2000، صفحة 5)

5.8. السيميائية عند رشيد بن مالك:

يمكننا أن نؤكد إقرار الباحث ضمنيا وصراحة، أن بحوثه وتوجهاته تنحصر في بحوث السيميائية عامة وسيميائية غريماس خاصة وقد تتلمذ رشيد بن مالك على أقطاب مدرسة باريس وحضر دروسهم وعقد صلات بهم، وأصبح ممثلا لهم على مستوى البلاد العربية

1 يعتبر الأستاذ رشيد بن مالك الناقد الدارس والشارح الأكثر تخصصا بالمدرسة السيميائية فمعظم انجازاته وأبحاثه ومقالاته العلمية انصبت في هذا التخصص بشتي فروعه ومدارسه وبها واجه نصوص تطبيقاته كما يعتبر من رواد السيميائية في النقد الجزائري والتي عرفت في نهاية عقد الثمانين وبداية عقد التسعين من القرن الماضي إضافة إلى إدارته لمجلة بحوث سيميائية نجد أعمال الناقد السيميائي متنوعة من ترجمة و تعريف بالنظرية السيميائية ومقالات محكمة حول السيمياء وتطبيق النموذج السيميائي في تحليل القصة.

– نماذج من خطابه النسقي:

– مقاربة نص الحكاية الشعبية:

حاول الباحث "رشيد بن مالك" أن يقيم علاقة مع النص السردي التراثي القديم، فقدم في كتابه (السيميائيات السردية قراءة سيميائية لنص سردي تراثي من كتاب كليلة ودمنة ل:"عبد الله بن المقفع" وبالتحديد نص النصيحة التي أسداها الفيلسوف الهندي "بيديا" للملك "ديشليم"، مبررا اختياره لهذا النص (النصيحة) تحديدا بقوله: «إن هذا الاختيار صادر عن قناعتنا بأن حكايات كليلة ودمنة لا يمكن أن تفهم إلا إذا قرأنا قراءة معمقة النصيحة التي نعتبرها النص/ الإطار الذي يغذي دلاليا الحكايات. ومن ثم، فإن أي تأويل دلالي لهذا النص السردي المروي على لسان الحيوان، يخرج عن النص/ الإطار ومحاوره الدلالية الكبرى، سيضلل القارئ لاشك، ينقله إلى مواقع مهزوزة تفتقد إلى القواعد المؤسسة التي ينهض عليها النص في شموليته» (بن مالك، السيميائيات السردية، 2006، صفحة 45)..

قد قسم الباحث هذا النص إلى ثلاثة محاور أو مقطوعات أساسية هي كالآتي:

المقطوعة الأولى: تتحدد زمنيا ومكانيا قبل ذهاب "بيدبا" إلى القصر.

المقطوعة الثانية: تتحدد بانتقال "بيديا" إلى القصر وإسدائه النصيحة للملك.

المقطوعة الثالثة: تبدأ بعد تبليغ "بيديا" الرسالة للملك.

ان هذا التقطيع الذي أثبته الباحث على الرغم من أنه يبدو تقطيعا على الطريقة التقليدية التي تقوم بتجزئة النص الأدبي إلى أفكار أساسية وأخرى ثانوية، دون أن تراعي ذلك التداخل والتعالق والتكامل الموجود بين مفاصل القصة الأدبي والمؤسس لبناه الدلالية والجمالية والثقافية، فإنه سيعمل على تمكين القارئ من إدراك مجموع الحالات والتحولات الناتجة عن سلسلة الأداءات والبرامج المتردية التي ينبني عليها نص النصيحة للفيلسوف الهندي أبيدبا".

ومن أجل إدراك الحمولة الدلالية لنص النصيحة، وتوضيح الآلية التي يشتغل بها الخطاب الحجاجي في هذا النص، عمد الباحث إلى دراسة البنيتين: البنية الخطابية والبنية الجدالية، اللتين ترتهنان في وجودهما إلى فعل تلفظي قائم بين بيدبا (الأنا اللافظ) ودبشليم (الأنت الملفوظ له) (بن مالك، السيميائيات السردية، 2006، صفحة 37).

و في نص "ريح الجنوب"، تناول "رشيد بن مالك" المتن السردي في الجزائر مؤكدا أن السيميائية بوصفها خيارا منهجيا، قد حققت « قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة، والتجليات اللسانية، وغير اللسانية بعامة، فبسطت نفوذها العلمي على حقول معرفية متنوعة، وأظهرت قدرة كبيرة في معاينتها وتقصيها؛ بإقامة نماذج تحليلية مبنية أساسا على المنظور الافتراضي الاستنباطي» (بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، 2000، صفحة 101)

ضمن هذا الحقل التحليلي المعتمد أساسا على الافتراض، والاستنباط درس "بن مالك" التغيرات الدلالية الفضاءات النص، لكنه سرعان ما سقط في فخ السياق، حين اتخذه مرجعا في تفسير التغير النصي، وظهر له أن رواية "ريح الجنوب" مبنية أساسا على فضائين مركزين يمران عبر تضادهما مجموعة من القيم، تعبر عن التناقضات التي أفرزها انتقال الجزائر المستقلة من عالم التخلف إلى عالم التحضر، وقد أحدثت عملية التحري عن قيم المدينة تصدعا في البنية الاجتماعية، يجد تجلياته في صراع الأجيال» (بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، 2000، الصفحات 101-103)

وهذا ما أشاد به "عبد القادر شرشار" حيث اعتبره مشروعا في حد ذاته، يستحق وقفة تأمل، في قوله «ما يشجع الدارس المهتم بالنقد الروائي على قراءة مشروع "رشيد بن مالك" وضوح البعد المنهجي المتجلي في الكشف عن المرجعية النظرية؛ حيث يغدو نموذجا عربيا لتطبيق المنهج السيميائي في تحليل النصوص السردية، ومن ثم لا يجد المشتغل على نصوصه عناء كبيرا في الوقوف على التفاعل الجدلي بين النظرية والممارسة التطبيقية، فهو يصرح بولائه الكامل للجهود الأجنبية في ميدان تحليل البنية السردية، وهو مشروع بالنظر إلى قلة الدراسات النقدية

للسرديات في العالم العربي؛ لذلك نجده يبذل مجهودا في سبيل التعريف بالمنهج السيميائي في قراءة النصوص السردية، وميزة هذا الباحث أنه لا يتخذ من النزعة التركيبية منهجا له،

كما هو الحال لدى أغلب النقاد العرب الذين حاولوا التوفيق بين استخدام أكثر من منهج» (شرشار، الصفحات 110-111)..

وهذا خلافا أيضا لبعض النقاد الجزائريين الذين نستطيع أن نسجل لديهم مثل هذا التركيب المنهجي بالنظر إلى طبيعة الآليات التي اعتمدوها في مقارباتهم النصية، في إطار ما يمكن اعتباره من قبيل الرؤية النقدية المتكاملة في المقاربات النصية الروائية، وتظهر ملامح "المنهج المركب " أكثر، لدى "عبد الملك مرتاض"، في كتابه "تحليل الخطاب السردي"؛ حيث قدم معالجة تفكيكية سيميائية مركبة" لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ، وهذا الطرح النقدي كان "مرتاض" جريئا على مستوى آليات تعامله مع النص الأدبي، وتفاعله مع جملة من القضايا التي يثيرها التجريب الأدبي، فلم يكن تفكيكيا بالمفهوم الخالص للتفكيكية، ولا سيميائيا بمفهوم الانتماء المدرسي؛ بل كان ناقدا أصيلا، ومتحررا في تحديد خياراته المنهجية على اختلاف روافدها.

لقد حاول رشيد بن مالك انطلاقا من ممارسته المنهج السيميائي في تحليل الخطاب الروائي أن يقف عند الدلالة الأولى متنقلا إلى الدلالة الثانية التي يختزنها الخطاب الروائي من جهة ومن جهة أخرى احتكم إلى تطويع المنهج في مقاربة النص الروائي الجزائري وحافظ على خصوصيته المعرفية والابداعية. فكانت ممارساته عبارة عن إضاءة كاملة للنص وتقريب إجرائي ومنهجي له بالنسبة للقارئ العربي عامة والجزائري خاصة. كما أنه لم يستعمل هذه الإجراءات بمعزل عن السياق العام للنص الروائي بل استثمر ذلك وفق ما تمليه خصوصية الرواية الجزائرية المعاصرة. الأمر الذي جعله يتخلص من تلك الأحكام الانطباعية وتعويضها بتلك المقاربة المنهجية التي تمثلت في توظيف إجراءات محددة تأخذ بيد القاري نحو تحسس وتلمس الإجراء السيميائي السردي كما وضعه غريماس عن قرب، كما يجب أن نقف موقف إجلال واحترام لمثل هذه الجهود التي تنم عن تحكم واضح في آليات هذه المناهج وحسن توظيفها على المتون الروائية الجزائرية.

9. قائمة المراجع:

أحمد ابن فارس. (1997). معجم مقاييس اللغة (المجلد 5). (عبد السلام هارون، المحرر) بيروت، الجزائر: دار الفكر.

الزاوي بغورة. (2001). المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

الفراهيدي الخليل. (د.ت). العين (المجلد 5). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث.

أندري لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار 2). (أحمد خليل خليل، المترجمون) بيروت، لبنان.

جهاد فاضل. (د.ت). أسئلة النقد، حوارات مع النقاد العرب. مصر: الدار العربية للكتاب.

رشيد بن مالك. (2000). قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(عربي–إنجليزي–فرنسي) (الإصدار 1). دار الحكمة.

رشيد بن مالك. (2000). مقدمة في السيميائية السردية. الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع.

رشيد بن مالك. (2006). السيميائيات السردية. عمان، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

رشيد بن مالك. (2013). من المعجميات إلى السيميائيات. عمان، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

سعيد علوش. (1985). معجم المصطلحات الأدبية. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

سمير سعيد حجازي. (2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. القاهرة، مصر: دار الآفاق العربية.

عبد الحميد بورايو. (1992). الحكايات الخرافية للمغرب العربي. بيروت: دار الطليعة.

عبد الحميد بورايو. (1994). منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة.

عبد الحميد بورايو. (1998). البطل الملحمي، والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسة حول خطاب المرويات الشفوية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد الحميد بورايو. (بلا تاريخ). القصص الشعبية في منطقة بسكرة.

عبد العزيز حمودة. (1997). المرايا المحدبة(من البنيوية إلى التفكيك). الكويت: عالم المعرفة.

عبد القادر شرشار. (بلا تاريخ).

عبد المالك مرتاض. (1983). النص الأدبي من أين؟ وإلى أين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد المالك مرتاض. (1993). ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد المالك مرتاض. (1994). شعرية القصيدة (الإصدار 1). بيروت: دار المنتخب العربي.

عبد المالك مرتاض. (2007). الألغاز الشعبية في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد المالك مرتاض. (بلا تاريخ). التحليل السيميائي للخطاب الشعري.

عبد المالك مرتاض. (بلا تاريخ). تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة(زقاق المدق).

غلى ملاحي. (نوفمبر، 2009). حوار مع الأستاذ عبد الحميد بورايو. مجلة التبيين(33)، الصفحات 143–144.

كريزويل إيدث. (1993). عصر البنيوية. (جابر عصفور، المترجمون) الكويت: دار سعاد الصباح.

كير إيلام. (1992). سيمياء المسرح والدراما. (كرم رئيف، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: مركز الثقافة الغربي.

محمد ابن منظور. (2004). لسان العرب (الإصدار 3، المجلد 5). بيروت، لبنان: دار صادر.

محمد عباس إبراهيم. (2001). الثقافات الفرعية . الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.

محمد مفتاح. (1996). التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

محمد هيشور. (1994). المشكلة المنهجية في الأدب الإسلامي. مجلة المشكاة، صفحة 118.

نعمان بوقرة. (2009). المصطلحات الأساسية في اللسانيات. عمان، الأردن: عالم الكتب الحديث.

يوسف أحمد. (2008). القراءة النسقية. الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.

يوسف وغليسي. (2002). الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض. الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

يوسف وغليسي. (2002). النقد الجزائري المعاصر، من اللانسونية إلى الألسنية. الجزائر: إصدارات رابطة الإبداع الثقافية.

يوسف وغليسي. (بلا تاريخ). إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد.